هذا ثمَّ انَّ الطريق المؤدّية من بركة اليسونة الى يعلبك كثيرة الآثار فيها كتابات عديدة الّا انَّ اكثر هذه الخطوط دارسة مطموسة لا حاجة الى ذكرها في هذه الخلاصة

نظرٌ

في اهمّيّة مطالعة تآليف الآباء القديسين والتصانيف المسيحية القديمة

بقلم حضرة الاب سبستيان رتزقال اليسوعيّ

لقد اصاب من قال في مقدمة السنة الاولى من هذه المجلة عن ترقّي اسباب العمران والتمدُّن في هذه الديار: فلا شكَّ ان الغريب الذي ينزل بها ينذهل انذهالًا شديدًا اذ « يبصر فيها الارجاء بالفنون والصناعات زاخرة. والمدارس بالطلّاب زاهرة. والمطابع حافلة بالتآليف الفريدة. والجرائد متعمة بالمباحث المفيدة. . . » ذلك لعمري كلام من عرف احوال المشرق حقَّ معرفتها. كلام يقين لا تشوبهُ مِرْية ولا يجحدهُ الّا من اعمت بصيرتهُ الغيرة . صاننا الله من شرّ الحسد وعواقبهِ

وممّا يتميَّز بهِ ابناء الشرق عن سواهم استعدادهم العجيب الى تلقّي العلوم المختلفة واللغات الاجنبيَّة والآداب الغربية . ترى الشبّان منهم يباروت اقرانهم الاوربيّين في تثقيف عقولهم ويناقسونهم في انارة اذهانهم فيصعدون بذلك الى معارج التقدُّم ومعالي النجاح حتى انهُ لو دامت هذه الحال من النشاط والنمو لصحَّ القول بان مرتبة المشرق من حيث المعارف وانواع الآداب الصحيحة لا تلبث ان توازي الدرجة التي ادركتها الاقطار الغربية بعد الجهد الجهيد. اسعد الله اهل بلادنا الى بلوغ هذه الذرى الشريفة لخير الوطن ومجدهِ تعالى الاعظم

غير انَّهُ مهما كان من توفُّر اسباب التهذيب العقلي في هذه البلاد واتساع نطاق المعلومات فيها وعدد الادباء المشغوفين بمطالعة التآليف المفيدة وكثرة العلماء المزاولين لوضع التصانيف الفريدة فانّا تراهم يتفرَّغون لدراسة قسم كبير من الكتب الشهيرة الجديرة باعتناء كلّ من لهُ المامٌ بآداب السلفاء ومآثر الاولين. ألا وهي الودائع الجليلة والكنوز الثمينة التي خلّفها لنا اجدادنا الشرفاء وآباؤنا القديسون وملافنة الكنيسة المسيحية: تصانيف قد طارت شهرتها في الآفاق وامتدَّت منفعتها الى الخافقين. فايم الحقّ اذا استثنينا بعض الاكليريكيين لاسيّما ممن يتمرَّشحون للعلوم اللاهوتية في مدارس الشرق

وكليّات المغرب فاين الشرقيون الذين يَردون تلك الموارد الصافية التي قد طالما يستقي ادباء اوربّة من مائها الزلال ويصرفون العنـاية في البحث عن دررها ويتبحّرون في غوامض معانيها فيحرزون فوائدها الجمّة ومنافعها العميمة

ولئلّا تنسب قولنا هذا الى المبالغة والتجاوز فاعطف نظرك ايها القارئ الاديب الى مدارس اوربّة الكَنَسيّة والعالمية · تشهد فيها من الاهتمام بدرس التصانيف التي نحن بصددها ومواصلة السعي في طلب غُررها ما تدهش منهُ العقول · فبالحقيقة لم تكد تظهر بدعة « دُعاة الاصلاح » في العالم المسيحيّ حتى اخذ علماء اوربة يرجعون الى تآليف الآباء لردّ مكايد المبتدعين في نحرهم · ومنذ ذلك الوقت لم تزل مدارسة الكتب المسيحيّة القديمة في النمو والترقّي · ففي القرنين السابع والثامن عشر ابرز الكردينال بلارمينوس اليسوعيّ تأليفهُ المشهور في الكتّاب الكنسيّين ثم تبعهُ عدّة مصنّفين كالباركيّين لينوريّ (Le Nourry) وسيلياد (Ceillier) وشرام (Schram) ولومير (Lumper) والدومينيكي لوكيان (Lequien) صاحب كتاب « الشرق المسيحي » والعلماء دوبين (Dupin) وتلمون (Tillemont) والسمعاني العلّامة الماروني الطائر الصيت الى غيرهم من نُطس الكتّاب ومتقدميهم

امّا القرن الحاضر فقد ظهر فيهِ رجال مشهورون وضعوا كالسلف التآليف الضخمة · نخصُّ منهم بالذكر العلامة مين(Migne) صاحب المكتبة العظيمة التي هي اشهر من ان تُوصف والكردينالين المبرّزين ماي (Mai) وبيترا (Pitra) · فهم الثلاثة الذين احيوا تلك الدروس الشريفة احياء لم يصدّهُ مانع ويحدّهُ حاجز · ولم يقتصروا على طلب آثار الآباء اللاتينيين واليونانيين فقط بل بالغوا بالجدّ وراء مطالعة مصنّفات الشرقيين ايضاً ونشرها كملافنة الكنيسة السريانيّة وكتّاب الارمن والقبط الى غير ذلك من الطوائف المسيحيّة التي تزدان بها بيعة الله المقدّسة · والحقُّ يُقال انّ مساعيهم اتت باثمار طيّبة وافرة فاقتفى معالمهم جمٌّ غفيرٌ من رجال الكنيسة واعيان العلم والادب في جميع اقطار اوربّة واميركة وبالخصوص في فرنسة وانكلترة والمانية والنمسة وايطالية · ومن اعجب الامور انّ الشعوب التي قد طالما غلب عليها روح البغض والتقريع لتعاليم الآباء الاقدمين وتصانيف ملافنة الكنيسة هي اليوم في مقدّمة سائر الامم في دراسة تلك التآليف الجليلة والسعي الحسن وراء نشرها واتقان ترجمتها الى

اللغات الاوربية المختلفة. فان اردت شاهداً على ذلك عليك بمراجعة ما كتبهُ الاب كندامين في مقالة مهمة بيَّن فيها اجمالاً معاملة المراطقة لاباء بيعة يسوع المسيح منذ ظهور بدعهم الى ايامنا الحاضرة (١. وهذا باب تاريخيّ واسع ليس غرضنا قرعهُ في هذه المجالة. بل جلّ ما قصدناهُ من ايراد ما تقدَّم على وجه العموم بيان قلّة المزاولين لتلك الكتب بين مواطنينا لاسيما اذا وُضع عددهم الوجيز بازاء كثرة ادباء المغرب وعلمائهِ. وهذا لعمري نقص بيّن يؤسف لهُ. ولعلهُ ناتج عن عدم الاكتراث لفوائد هذه الدروس او الزعم ان كلَّ ما دُوِّن في سالف الدهور من كتب الدين وتواريخ الكنيسة وآداب الاقدمين انما هو جملة امور لا علاقة لها باحوالنا الحاضرة او مسائل دقيقة لا عائد منها ولا طائل تحتها. وهذا غلط ظاهر لا بدَّ من اقتلاعهِ من اذهان العامَّة والخاصَّة

وما لا مرية فيهِ ان الاقبال على هذه الدروس لا يليق فقط برجال الكنيسة بل ايضاً بالعالميّين وبكل من يهتمّ باعزاز ديانتنا ويرغب في الوقوف على كنه عوائدها وتقاليدها واصل طقوسها وبراهين صحتها ومتانة اركانها وقوَّة تدبيرها وبالجملة الوهيَّتها وقداستها الابديَّة. أجل لحظك في تواريخ الاعصار وقل لي: كم هم المنافقون او الضالّون عن سبيل الحقّ القويم الذين بمجرَّد مطالعتهم تآليف الاقدمين من الآباء والملافنة قد ارتدُّوا عمَّا كانوا عليهِ من الجهل والتكُّع والبغض فانضمُّوا الى حظيرة يسوع المسيح فرحين شاكرين لله تعالى على هذه الموهبة الفائقة والنعمة الخالدة (١. واذا كان الامر كذلك فماذا يكون حالنا عند ربّ العالمين ان اهملنا هذه الدروس وسهونا عن هذه الكنوز واغفلنا التمتع بتلك الوراثة العالية تاركين تلك العدَّة البهيَّة في ايدي مَن يستخرجون منها اسلحة جديدة لتقويض دعائم اعتقاداتنا واركان عوائدنا (٢

ولمزيد ايضاح هذه الاهميَّة يحسن بنا ان نأتي عليها بتفصيل بعض الادلَّة الصادقة مردفين اختصاراً اقوى الاسباب التي تحثنا على مطالعة كتب اجدادنا المسيحيين فنقول:

١ً : ان السبب الاول هو اهميَّة تآليف الآباء في تأييد التقليد. لا يخفى على احد ان التقليد المقدَّس عين من عيون الحقائق المنزلة على لسان يسوع المسيح لهُ المجد. والحقّ

١) راجع المشرق ٣ : ٢٤١-٢٤٦ ٢) راجع في اعتماد البشير من هذه السنة مناظرة حديثة تُطلعك صريحاً على وجوب دراسة التآليف القديمة للردّ على مزاعم المحرّفين

يقال ان المؤلفين الاوّلين لاسيما الآباء القديسين وملافنة الكنيسة هم اقدم الشهود واصدقهم على ذلك التقليد. فانهم تسلّموا الايمان من الرسل الاطهار إمّا مباشرةً او بواسطة من حظوا بمشافهة الرسل واقتباس تعاليمهم. فخلّفوا لمن بعدهم من زعماء ديانتنا وآبائنا الموقّرين كل الحقائق المتينة والعقائد الصحيحة التي اتّصلت الينا بالتسلسل الواصل والتواتر الغير المنقطع. وقد أيدوا وديعة الايمان بكل نوع من الادلّة المقنعة والبراهين القاطعة. لا بل لم يتردّدوا في بعض الآونة من بذل حياتهم للذبّ عن صحّة الديانة والمناضلة عن سلامتها. فان اردت شاهداً حيّاً عن متانة التقليد المسيحي كما هو مدوّن في تصانيف الكتّاب الاوّلين راجع جدول اسمائهم كما سردناها (ص ٧٩٢) فبالحقيقة لا نعرف برهاناً اجلى من هذا الجدول واقطع منهُ لبيان مواصلة تقاليدنا المقدّسة

تحقّق اذن ان للكتب المسيحيّة القديمة اهميّة عظيمة في معرفة التقليد وتأييد صحّته. ولا حاجة الى الاسهاب في بيان هذا الموضوع فانهُ اضوأ من نور الشمس

٢ً السبب الثاني وهو اهمّيّة تآليف الاقدمين في توطيد الكتب المنزلة وتفسيرها. ان الكتب المقدّسة من العهدين العتيق والجديد هي كالتقاليد ركن من اركان ايماننا وينبوع من ينابيع عقائدنا. فاذا ثبت ذلك فاين يا ترى نجد مفسّرين افضل من الاباء او اصدق من الملافنة. فانهم فضلاً عمّا لقوهُ من الايد والمساعدة في تقليدٍ خالصٍ قريب من عهدهم قد جمعوا بين العلم والفضيلة بين قداسة السيرة وخلوص النيّة بين ثبات الجنان واضطرام الغيرة. ومن ثمّ جلبوا على انفسهم أعلى نعم ربّهم فانار الله تعالى عقولهم الثاقبة فاتحاً لهم غوامض اسرارهِ. وان زدت على كل ذلك ان معظم هؤلاء الكتبة قد عاشوا في نفس الديار التي دُوّنت فيها الكتب المنزلة. بين الشعوب الذين بشّرهم الرسل الاطهار بالانجيل المقدّس فلا مندوحة لك عن الاقرار بسموّ شأن تآليفهم في كل ما يختصّ بتفسير الكتب المقدّسة

وممّا يبيّن صريحاً ما في الانكباب على مطالعة تصانيف الآباء من علو الفائدة وعظم الاهمية ما نشاهدهُ اليوم من افتساح مجال الدروس المتعلّقة بالكتب المنزلة قاطبةً وترامي اقلام الكتّاب فيها الى ابعد مرامي البحث واتأى مطارح الفكر. فكأني بهذه

---

١) راجع المقالة المذكورة آنفاً ص ٣٤٧ — ٣٤٨

الدروس اصبحت نقطة مركزيَّة اليها يُرجع في جميع المسائل دينيَّة كانت ام عالميَّة. وقد اتَّسع نطاقها في هذه السنين الاخيرة اتِّساعاً عظيماً جعلها كمأزق يتقاتل فيها الحقّ والباطل العلم والجهل الديانة والكفر بيعة المسيح وجماعة البدع التعاليم المستقيمة ومذاهب المتفلسفين. وهذا الاتِّساع العجيب لم ينحصر في قطر من اقطار المسكونة بل عمَّ كافَّة البلاد المتمدِّنة واخذ فيها من النمو والشان ما شغل فكرة الحبر الاعظم ابينا لاون الثالث عشر وهو لم يزل ولا يزال مترقباً لحاجات رعيَّته الروحية. فرأى من اللائق بل من الضروري ان يصدر في هذا الموضوع منشوراً خاصاً عنوانهُ Providentissimus Deus وبه استلفت ليس فقط ابصار المشتركين في وحدة الايمان بل ايضاً جميع الشيَع حتى اشدّ المراطقة بغضاً للكنيسة الكاثوليكيَّة واظلمهم لحقوقها

والحال ان المسألة التي يوضحها الاب الاقدس باجلى عبارة والنقطة التي يسهب المقال فيها بذلك المنشور الفائق الشهرة انما هي اهميَّة مدارسة تآليف الآباء والاجتهاد في تفقُّه معانيها واتقان تأويلها. اليك ايها القارئ اللبيب نصّ كلامهِ مترجماً عن اللاتينيَّة. قال: «وتأييداً لتعاليمنا وتحريضاتنا يحسن بنا ان نذكركم كيف ان جميع الذين اشتهروا في اوائل النصرانيَّة بقداسة سيرتهم ومعرفتهم للعلوم الالهية لم يألوا جهداً في درس الكتب المنزلة. فان تلامذة الرسل كاكليمس الرومانيّ واغناطيوس الانطاكيّ وپوليكرپوس واوَّل الآباء الذين دافعوا عن الايمان وبالخصوص يوستينوس وايرناوس لم يزالوا ليل نهار يردون موارد الكتب المقدَّسة فيرتشفون من زُلالها الصافي ايماناً رقيَّة ونعمةً وتُقىً كما هو ظاهر في جميع رسائلهم وتصانيفهم التي أَلَّفوها اما للذب عن عقائد الكنيسة الكاثوليكيَّة او لتحبيبها الى قلوب المؤمنين. وأمَّا المدارس التي أُقيمت في كثير من الكراسي الاسقفيَّة لاسيما في الاسكندريَّة وانطاكية الشهيرتين لتدريس التعاليم الالهيَّة فقد اصبحت دائرة التهذيب فيها مقصورة على تلاوة النصوص الكريمة وتفسيرها والمناضلة عن حقائقها. ومن تلك المدارس برز معظم الآباء والكتَّاب فوضعوا من التآليف الضخمة الجليلة الاتقان والتصانيف الكثيرة الفائقة المنفعة ما يُعدّ سلسلةً بهيَّةً لم يكن لها من انقطاع في مدَّة ثلاثة قرون متواليـة. فبكلّ صواب يُحسب عهدهم عهداً ذهبياً لتفسير الكُتب المنزلة. وفي مقدّمة الآباء الشرقيين نخصُّ بالذكر اوريجانس الذي اشتهر بذكاء عقلهِ ومواظبتهِ العجيبة على الكتابة والتدريس فانَّ

مآثره العديدة وخاصةً كتابهُ العظيم المشتمل على ستة نصوص من العهد العتيق اضحى ينبوعاً يستقي منهُ جميع الخلف. وتبع اوريجانس مؤلفون عديدون وسّعوا نطاق تفسير الالهيات. افضلهم في الاسكندريّة اكليمس وكيرلوس وفي بلاد فلسطين اوسابيوس وكيرلوس آخر. وفي قبدوقية باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزيانزي وغريغوريوس النيسي. وفي مدينة انطاكية يوحنا المدعو ذو الذهب ذاك الذي قرن حلاوة الفصاحة بعلوّ معرفته للنصّ المقدّس. . . »

ثمّ يعدّد الاب الاقدس اشهر آباء الغرب واصفاً لهم كوصفه للآباء الشرقيين ولا حاجة الى الاتيان بكلامه. ففي العبارات المارّ تعريبها كفاية لأولي الابصار. فحقّ القول اذن ان من يرغب في الوقوف على صحّة معاني الكتب المنزلة لا بدّ له من مطالعة تآليف الآباء وحسن فهمها

---

٣ : السبب الثالث وهو اهمية مطالعة تصانيف المسيحيّين الاوّلين لفهم التواريخ القديمة.

اعلم اننا لا نقصر قولنا هذا على الكتّاب الذين افردوا للتواريخ تآليف مخصوصة كايبوليتوس الروماني ويوليوس الافريقي واوسابيوس القيصري وغيرهم بل نشمل ايضاً معظم الآباء والملافنة والمؤلفين من النصارى على اختلاف مواضيع مآثرهم. فانهُ من المقرّر ان مصنّفات هؤلاء كلهم مفعمة بتفاصيل تطلعنا على الاحوال الغابرة وتخبرنا عن كنه الامور اخباراً جليًّا. فان اوّل المسيحيّين قد قطنوا الممالك الرومانيّة شرقاً وغرباً وفي هذه البلاد الواسعة انتشرت ديانتنا وامتُحن الشهداء وتقدّس اولياء الله ودوّنت كتب آبائنا الجليلة ونُشرت تعاليم ملافنتنا المنيرة. فاذن كل ما يتعلّق بانتشار النصرانيّة في العالم القديم يلقي بلا شكّ نوراً بيّناً على التواريخ الكنسية والمدنيّة معاً. ومما يزيد تآليف المسيحيين الاولين شأناً انك تجد فيها روايات وتفاصيل اصدق مما أُدرج في تصانيف المؤرّخين الوثنيّين لاسيما الكاذبين منهم الذين غلب عليهم روح البغض للديانة النصرانيّة. فبكل حقّ نستنتج ان الاديب الذي يقبل على درس تواريخ القرون الاولى بعد المسيح لا مندوحة لهُ عن مطالعة كتب الآباء والملافنة والمؤلفين المسيحيّين الاقدمين على اختلافهم

ثم اذا اعتبرتَ ان احوال القرون المتوسّطة والازمان القريبة من عصرنا متعلّقة باحوال العالم القديم والقرون الاولى للنصرانيّة تعلّقاً لازباً فلا بدّ لك من التسليم بان

درس التواريخ القديمة امرٌ يتحتَّم ايضاً على كل من تنزع لدرس التواريخ المتوسطة او المقاربة لأيامنا اذا ما اراد (كما قلنا) الوقوف على كُنه الامور واسباب الاحوال

وكل ما تقدَّم شرحهُ امر قد نبَّه اليهِ علماء عصرنا. فترى المؤرخين منهم يكثرون يوماً بعد يوم من الرجوع الى الكتب المسيحيَّة القديمة والخصوص الى تآليف الشرقيين كالسريان والكلدان والارمن والقبط مفتقدين آثارهم لينتقوا منها كل ما يؤول الى انارة عقولهم في المواضيع التاريخيَّة التي اختاروا البحث عنها. ولسان حالهم يقول باجلى عبارة واصدق دليل ان التاريخ الكنسيّ والدينيّ لا يفترقان ولا يُفهَم الواحد دون الاخر. فاذا وضح الاول سَهُل فهم الثاني اذ يرى المؤرخ مثلاً ما كان للكنيسة في سالف الاعصار من المقام الرفيع والتأثير الجسيم في عامَّة الاحوال لاسيَّما في محاربة العالم الوثني ورذائله وفظائعه. فتظهر حينئذٍ بيعة المسيح على هيئتها الحقيقيَّة تحت عناية الباريء وتدبير رؤسائها الاعظمين. وبالعكس يرى المؤرخ ما كان عليهِ المجتمع الانساني من الانحطاط والتقهقر فيحكم بوجوب اتيان القادي الرؤوف ليرفعهم من دركات الذلّ ويبيد ظلام الاضاليل التي قد طالما تكدَّسوا فيها. وفي تلك المقابلة ايضاً يتبيَّن وجه انتصار الكنيسة على بقايا الوثنيَّة وكيف انها نالت الفوز على عهد قسطنطين الكبير ونشرت راية الدين المستقيم بانيةً على وجهِ المسكونة القضية والنظام وحسن الآداب وكلّ ما تتميَّز بهِ الشعوب المسيحيَّة من الامم النابرة. ثم يتجلَّى ايضاً وجه ارتقاء الكنيسة الكاثوليكيَّة الى الذرى التي بلغتها في القرون المتوسطة وما كان للاحبار الرومانيين من التسلُّط والنفوذ في جميع امور المدنيَّة. وعلى هذا المنوال يدرك المؤرخ حقيقة التقلُّبات التي تتابعت في العالم فحوَّلت الاحوال شيئاً فشيئاً حتى افضت بعصرنا الى ما هو عليهِ

ومما يجب اخيراً ان يحرّضنا على مدارسة التآليف المسيحيَّة القديمة من حيث اهميَّتها في التاريخ ما نسمعهُ او نطالعهُ من الاكاذيب التي ينشرها بعض الكفَرة رغبةً في حطّ شأن الكنيسة وتذليل مقامها الى غير ذلك من البواعث التي لا تخفى على النبيه. وهم ينتحلون العلم فيؤسّسون اقاويلهم على التاريخ مدَّعين ان ادلَّتهم صادقة وبراهينهم قاطعة. فان لم يكن لنا المام بتاريخ القرون الاولى ومصنَّفات اجدادنا المسيحيين فكيف يمكننا الردّ على هؤلاء البغاة ودحض حججهم الفاسدة واظهار تحريفاتهم الشنيعة

فثبت اذن ان الاقبال على درس التآليف المسيحيَّة القديمة غربيَّة كانت او شرقيَّة امر مهم لفهم التواريخ

٤ : السبب الرابع وهو ما لتلك التآليف من الاهميَّة الادبيَّة . لا نرى حاجة الى التطويل في بيان هذا القول لأنَّهُ من المقرَّر ان لتآليف الآباء من الفصاحة والبلاغة وضروب الفنون الادبيَّة والفلسفيَّة ما لا ينكرهُ الَّا الجاهل او من اظلم عقله بالغيرة . فمن ذا الذي قضى بضعة سنين في مدرسة من المدارس الثنويَّة ولم يقرأ ولو في ترجمة بعض اسطر من مؤلفات القديس يوحنا الذهبي الفم او القديس اغسطينوس او مار افرام وغيرهم من مشاهير الملافنة . او لم يسمع على الاقلّ ذكر مآثرهم وسموّ مقامهم في الادب والتهذيب العالي . أفيرفض احدٌ التسليم بان هؤلاء الكتبة كانوا اول رجال عهدهم ومتقدميهم في الخطابة والشعر والفلسفة ؟ كلاَّ . وقد اثرت بلاغة تآليفهم في ذهن العلامة والخطيب المصقع بوسويت الفرنسيّ حتى انهُ اصبح مائلًا الى الغاء كتب الوثنيين من اليونان واللاتين في المدارس الثنويَّة (١ . وان كان في هذا الرأي بعض الافراط فلا يُنكر انهُ يُظهر جليًّا حقيقة ما نحن عليه من بيان اهميَّة تاليف الآباء في تنوير الاذهان وتزيين العقول

وان اردتَ قاعدةً للحكم بعظم شأن هذه التآليف فعليك ان تتذكَّر انها تجمع بين الحقيقة والخير والحُسن خلافًا لمعظم الكتب التي وضعتها يد الوثنيين . فان وجدتَ فيها فصاحةً وبلاغةً كثيرًا ما ترى بدلًا من الحقيقة خرافات واضغاث احلام . وان عثرتَ فيها على حقيقةٍ فقلَّ ما تجدها خالية ممَّا يهتك ستر الاخلاق الحسنة . ولا نجهل ان بعض كتب الآباء ناقصة من باب البلاغة . على ان ذلك لا يحرمها قطّ فوائد اخرى وهي العظمى اعني بها الحقيقة وسداد الرأي وحسن الاخلاق وجميل النصيحة وصالح القدوة

فبان اذًا ان في قراءة تآليف الآباء فوائد ادبيَّة لا تحصى

ولاظهار اهميَّة هذه التآليف براهين اخرى نضرب صفحًا عنها قصد الاختصار . وانَّما نريد هنا ان افضل طريقة للانتفاع من كنوز الآباء والملافنة مطالعة تآليفهم في

---

١) يعلم قرَّاؤنا الافاضل ان الطلَّاب في مدارس اوربَّة يتعلَّمون اللاتينيَّة واليونانيَّة القديمة فضلًا عن لغتهم الوطنيَّة . وذلك خصوصًا لما في هذه الطريقة من الفوائد الجمَّة لتخريج التلامذة وشحذ قرائحهم

لغاتها الاصلية . الا ان ذلك امر عسر في هذه البلاد لعدم معرفة السواد الاعظم من الشرقيين للغات القديمة كاللاتينية واليونانية لا بل السريانية ايضاً مع انها لغة اجدادهم العزيزة (١ فلذا ما دام بنو الشرق لا يتعلمون تلك اللغات اللازمة معرفتها يضطرون الى مطالعة كتب الآباء في التعريبات او في اللسان القرشي الاكثر شيوعاً في هذه الانحاء . أفلا يليق والحالة هذه بادباء المشرق الذين حصلوا على معرفة اللاتينية او اليونانية او السريانية وقد رزقهم الله فراغاً كافياً ان يسعوا وراء تعريب بعض تلك التآليف التي هي اسمى شهرةً وارفر عائدةً فينشروها بالطبع افادةً لعامة القرّاء وطلّاب المدارس . ففي مثل هذا الشروع خدمة جليلة للوطن والعلم والدين

وما لا نتمالك عن ايرادهِ قبل الختام ما نشاهدهُ من دفن بعض الكتب النسخية القديمة والغير المطبوعة في مكاتب بلادنا لا ينتفع منها اصحابها ولا يفيدون بها غيرهم من الادباء . فكم وكم من المجلّدات السريانية مثلاً يتمنّى العلماء اشهارها بالطبع وهي لا تزال معفّرةً في غبرة الرفوف . ثم كم وكم من المصنّفات العزيزة التي لم يتّصل الينا اسماؤها قد اصبحت فريسة العثّ والهوامّ او تقلّبات الجوّ او لهيب النار كما حدث في مكتبة صيدنايا على ما رواهُ الشاب الاديب حبيب افندي زيّات في هذه المجلة (ع ١٣ ص ٥٧٦)(٢ افيحتمل الشرقيّ الخالص دوام مثل هذه الحالة من التقهقر او يقنع بان يسبقهُ علماء اوربّة الى نشر تآليف آبائنا والاهتمام بجمعها في مكاتب عواصمهم وقد قال الشاعر :

ولم أرَ في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على الكمالِ

---

١) والحقّ يقال ان اغفال النوريين للسريانية لمن اغرب الامور في هذا العصر الذي هو عصر الانوار . واغرب من ذلك انك ترى الصبيان في بعض المدارس الابتدائية يتعلّمون فضلاً عن قراءة الخطّ الكرشوني قراءة بعض الكتب السريانية ولا احد يهتم بتلقينهم معاني ما يقرأونهُ . وهكذا يذهب تعبهم ضياعاً . وما يزيد في التأسّف على هذه الحال ان الشرقيّ قادر على هذا الدرس فانهُ مجبول على تعلّم اية لغة كانت لاسيما اللغات السامية التي تُعدّ في جملتها العربية . فكلما اقبل مثلاً طلّاب المدارس الاكليريكية الشرقية على مدارسة السريانية يتعلّمونها بسهولة عجيبة وينجحون في اقتنائها بعد سنة او سنتين بينما ترى تلامذة اوربّة يقضون في تلقّيها ضعف هذه المدّة مع مكابدتهم عناء اشدّ . وكذا قل عن العبرانية

٢) راجع ايضاً مقالة حضرة الاب بطرس شملي في الشرطونية المارونية (المشرق ٣ : ٦٤٠)

لكن هذا الموضوع الذي يهمنا للغاية ليس من مدار هذه المقالة وانما استطردنا اليه لرغبتنا الشديدة في تقدُّم الشرقيين الادبي والعقلي وبلوغهم المراتب العالية التي ادركها ابناء الغرب ولا يزالون يتعدُّون منها الى اسمى الذرى. وعلى كل حال فقي مطالعة تآليف الآباء واللافتة وسائر الكتبة من قدماء النصارى جانب عظيم من اسباب الترقي في معارج الفلاح الادبي والعلمي والديني. وهذا حسبنا في هذه المجالة

جدول

للكتبة الكنسيين في القرون الاولى الخمسة للنصرانية *

	القرن الثالث
اكليمس الروماني تلميذ بطرس الصفا (ي) † نحو ٩٨	اورجانوس الاسكندري (ي) ١٨٦–٢٥٤
برنابا تلميذ الرسل (ي)	فبريانوس الافريقي (ل) † ٢٥٨
اغناطيوس الانطاكي (ي) † ١٠٧	غريغوريوس العجائبي (ي) ٢١٠–٢٧٠
پوليكاربوس تلميذ يوحنا الانجيلي (ي) † ١٥٥	اوسابيوس القيصري المؤرخ (ي) نحو ٢٦٥–٣٤٠
پاپياس اسقف هيرابوليس (ي) † في منتصف القرن الثاني	اثناسيوس الاسكندري (ي) نحو ٢٩٦–٣٧٣
قوادراتوس الاثيني (ي) عاش في القرن الثاني	هيلاريوس اسقف مدينة Poitiers (ل) † ٣٦٦
يوستينوس الفيلسوف الفلسطيني (ي) ١٠٠–١٦٦	مار افرام السرياني (س) † ٣٧٣
ثاوفيلس الانطاكي (ي) † نحو ١٩٠	كيرلس الاورشليمي (ي) ٣١٥–٣٨٦
ايريناوس اسقف ليون (ي) نحو ١٢٥–٢٠٢	ابيفانيوس الفلسطيني (ي) ٣٢٥–٤٠٣
مجريريوس المؤرخ (ي) عاش في القرن الثاني	غريغوريوس النزينزي (ي) ٣٣٠–٣٩٠
اثيناغوراس الفيلسوف (ي) «	باسيليوس الكبير القيصري (ي) ٣٣١–٣٧٩
ابوليناريوس اسقف هيراپوليس (ي) «	امبروسيوس اسقف ميلانو (ل) ٣٤٠–٣٩٧
مليتون اسقف سردس (ي) «	يوحنا فم الذهب (ي) نحو ٣٤٦–٤٠٧
اكليمس الاسكندري (ي) نحو ١٩٠–٢١٥	ابرونيموس (ل) نحو ٣٤٠–٤٢٠
ترتوليانس الافريقي (ل) نحو ١٦٠–٢٣٠	اغسطينوس الافريقي (ل) ٣٥٤–٤٣٠
هيبوليتوس الروماني (ي) † في الثلث الاول من	كيرلس الاسكندري (ي) نحو ٣٧٠–٤٤٤

* (تنبيه) قد ضربنا عن ذكر اسماء بعض الآباء وعدَّة من الكتبة فراراً من الاطالة. ففي ما دُوِّن في هذا الجدول الوجيز كفاية للغرض المقصود اذ يرى القارئ ان تتابع المؤلفين في القرون الاولى للنصرانية كسلسلة متواصلة. ثمَّ اعلم ان العلامة † تدل على سنة الوفاة. ويُراد بالحروف ي ل س ان الكاتب أَلف كتبهُ باللغة اليونانية او اللاتينية او السريانيَّة